Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض الأدباء المتسيسين للانحياز إلى العوالم الأوروبية ودعوتهم إلى تقليد الأوربيين في المأكل والمشرب والأفكار والرغبات.

والحق، أن أوربا كانت، وربما لا تزال، الحلم الذي يحلم به الروس يومياً فقراء وأغنياء لأنها -في نظرهم- المنارة التي يتوجهون إليها من أجل استقطار الحضارة والعلوم وطيوف السعادة والبهجة واللطافة وأصول التعامل والسلوك وطرائقهما، بل كان الروس يحلمون برؤية البلاد الأوربية، رؤية الشوارع، والساحات، والحدائق، والكنائس، والجسور، وسائر الأمكنة لأن أوربا بالنسبة إليهم محج وغاية يتمنون لو أن الزمن يسمح لهم بإدراكها قبل فوات الأوان من أجل رؤيتها ومخالطة أهلها.

ولم تكن رحلة دوستويفسكي الأولى إلى أوربا هرباً إلى سجن آخر، وإنما كانت بهدف الراحة والاستجمام لأنها جاءت تلبية لرغبة داخلية من أجل الخلاص من ضغط العمل الكثيف الذي عرفه في جريدته (الزمان) ومن أجل أن يكافئ ذاته الإبداعية بعد نجاح عمله الروائي (ذكريات من منزل الموتى) الذي نشره مسلسلاً على حلقات في جريدته، ثم نشره لروايته (مذلون ومهانون) مسلسلة أيضاً في الجريدة، وقد لاقى العملان قبولاً مهمّاً من القراء، أما النقاد فقد وقفوا الموقف الإيجابي من عمله الأول (ذكريات من منزل الموتى) فرحبوا بالعمل وعدوه كشفاً لحياة القاع الروسية، ومرآة للواقع المستبطن، في حين بدوا قساة على عمله الثاني (مذلون ومهانون) وهذا ما جعل دوستويفسكي يتضايق منهم في بداية الأمر، غير أنه اعترف، فيما بعد، أنه كتب هذه الرواية سداً لثغرة في الجريدة، وأنه كان على عجلة من أمره، حتى أنه أعاد نهاية الرواية مرات عديدة دون أن يكون راضياً تمام الرضا عنها، والحق، أن هذه الرواية تعد من أضعف أعمال دوستويفسكي لأنها مكشوفة في بنائها، واضحة في تركيبها، لا عمق فيها ولا غوص إلى دواخل النفس البشرية.

وقد كانت زيارة دوستويفسكي الأولى إلى أوربا وهو ابن إحدى وأربعين سنة (1862) تلبية لذاته التي أراد لها أن تبتعد عن الجو المشحون الذي تشهده الحياة السياسية في روسيا إذ كثرت الدعوات المنادية بإقامة الجمهورية الاجتماعية الروسية، وإلغاء قانون الصناعة والإقطاعيات، والحد من طغيان الأسياء وأبناء الطبقات النبيلة الخ، بل إن الدعوات نادت بالثورة وسفك الدماء لإزالة النظام القيصري، ولأن دوستويفسكي لا يزال يذكر جيداً ما حدث له في العشرينات من عمره يوم اقتيد فجراً إلى السجن، وحكم الإعدام، ثم العفو، فالنفي